

على الخلاف

لم يترك فلاديمير بوتين مجالاً للتحليل في تعيين معنى الحدث التاريخي الذي شهده العالم أمس بإعلان سيد الكرملين ضم جمهورية القرم المستقلة إلى الاتحاد الروسي: الحقبة الأميركية - الغربية انتهت! ولسوف تبدأ، منذ الآن، مرحلة التعددية القطبية

القيصر: إنها نهاية الحقبة الأميركية

ناهض حنر

من الدوما إلى الساحة الحمراء، مضى الرئيس ليقتطف لحظة المجد الشعبي؛ وسط الحشود التي أبكتها فرحاً العودة الظافرة لروسيا العظمى إلى الميدان الدولي، وقف فلاديمير بوتين، ليعد الروس بالمزيد: «لا يزال أمامنا الكثير؛ لكننا، باتحادنا، سننتصر!»

كان بوتين رئيساً وقائداً حتى الثلاثاء 18 آذار 2014، حين توجه الروس، من سيفاستوبول، «قلعتنا»، إلى موسكو إلى أقصى الشرق الروسي، فيصراً؛ ليس ذلك ما كان يطمح إليه الرجل الذي يعتبر زوال الاتحاد السوفياتي «أكبر كارثة جيوسياسية في التاريخ» بالنسبة إلى الزعيم القومي الصبور، المنحدر من الأيديولوجيا، كان الاتحاد السوفياتي امتداداً للقيصرية، ولا بد للاتحاد الروسي أن يكون امتداداً لهما. وهو، فلاديمير بوتين، يحلم باجتماع ثلاثة في شخصه: بطرس الأكبر ولينين وستالين؛ النهضة والوحدة والقوة؛ وقد حان الوقت ليدرك الغرب أن «روسيا وصلت إلى حدود النابض»، أي ضغط إضافي، كافٍ «لكي تنفجر

في وجوهكم»! إنه إعلان حرب: منذ الآن ليس مسموحاً لأحد اعتراض مصالح روسيا الاستراتيجية؛ لكن روسيا العظمى ستظل ملتزمة تماماً القانون الدولي. هذه هي المعادلة الجديدة في السياسة الدولية: لا مكان، بعد، ل«أزدواجية المعايير والخبث المفضوح»، ويوغوسلافيا وليبيا... لن تتكررا. لم يبك الروس ابتهاجاً بعودة جزء عزيز (جزيرة القرم) إلى الوطن الأم، بل اعتزازاً بعودة روسيا إلى ذاتها كقوة كونية؛ ففي أي تسوية روسية، غربية، ما كان لأحد أن يمتن بمكانة روسيا في الجزيرة التي تحتضن قاعدة الأسطول الروسي على البحر الأسود. كان يمكن حل هذه المسألة بصورة ما. لكن ما أرادته الكرملين هو حلها بضرية جذرية تستعيد الجزء «المسروق»، حسب تعبير بوتين، من الأرض الروسية، وتوضح للغرب، حدود قوتها؛ واشنطن، لندن، باريس، برلين... ليس لدى هذه العواصم المأزومة، ما تفعله، سوى الصراخ و«العقوبات» التي تثير السخرية أكثر مما تثير الحنق؛ علقته النائبة في الدوما، يلينا ميزولينينا، على القرار الغربي بتجميد أموالها وممتلكاتها

في الغرب، بالقول: «كل ما أملكه هو المبادئ الأخلاقية والإيمان بروسيا وحب الشعب الروسي». هذه الروح هي المناهضة في روسيا اليوم. إحساس يدفع المرء، لكي يفهم ما يحدث في روسيا، إلى البحث في مكتبته عن ديوان أمير الشعراء الروس، يوشكين؛ أعني أنها لحظة شعيرية تتوافق كلياً مع الكيمياء الثقافية القومية لروسيا. ولا يعني ذلك أنها لحظة أقوال، بل لحظة إطلاق الخيال لما يمكن أن يصدر عن روسيا الجديدة من أفعال في سياق استراتيجية أصبحت معالمها أكثر وضوحاً: أولاً، الغرب، بقيادة الولايات المتحدة، لم يعد شريكاً؛ «فلقد خدعنا، مرة بعد أخرى». هذا الغرب الذي لا يفهم إلا لغة القوة، عاجز عن الحرب منذ هزيمته في العراق، ولم يعد، عنده، كادوات في السياسة الخارجية سوى النازية في أوروبا والإرهاب التكفيري في الشرق المسلم، في إطار التعدي على القانون الدولي والتدخل في شؤون الدول المستقلة وتصنيع الثورات الزائفة، كما في أوكرانيا نفسها في 2004 وسوريا في 2011. روسيا التي عانت طويلاً من



القرم تعود إلى الحضن الروسي

«طفح الكيل»،

هذه هي العبارة التي كانت تنقص خطاب الرئيس الروسي حين تحدث عن علاقة بلاده بالغرب على مدى أكثر من عقدين، قبل أن يوقع مرسوم ضم القرم إلى روسيا، ضارباً بذلك عرض الحائط بكل الأصوات المعارضة

وقّع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين واثنان من زعماء القرم أمس، معاهدة لضم شبه الجزيرة المطلة على البحر الأسود إلى روسيا. ويأتي توقيع المعاهدة في الكرملين، بعد يومين من تصويت سكان القرم لمصلحة الانفصال عن أوكرانيا والانضمام إلى روسيا، في استفتاء أداشته الحكومة الأوكرانية والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بوصفه غير شرعي. ووسط تصفيق حاد ودموع بعض النساء، دافع بوتين بصراراً عن موقف روسيا خلال الأزمة الأوكرانية التي دفعت العلاقات بين بلاده والغرب إلى مستويات الحرب الباردة المتدنية. وقال بوتين، في خطابه أمام الجلسة المشتركة لمجلسي البرلمان التي عقدت في الكرملين، وأمام أعضاء حكومته ورجال الأعمال وزعماء القرم، إن «قضية القرم قضية ذات أهمية حيوية أهمية تاريخية بالنسبة إلينا كلنا».

وقال، في خطابه الذي استغرق 47 دقيقة: «أعلنت القرم استقلالها بما يناسب شروط الأمم المتحدة، وأوكرانيا استخدمت ذات الحق معلنة استقلالها من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، والآن لماذا لا يريدون من القرم أن تقوم بالشيء ذاته». كذلك تحدث عن شبه جزيرة القرم كمكان مقدس

الديموقراطية والقانون الدولي. وشن هجوماً حاداً على الزعماء الجدد في كييف، الذين أطاحوا الرئيس الأوكراني فيكتور يانوكوفيتش في 21 شباط، قائلاً إنهم فتحوا الباب «للنازيين الجدد»، وأضاف: «ما تُسمى السلطات الأوكرانية



بوتين يوقع على نص الاتفاقية (أ ف ب)

بالنسبة إلى روسيا، مؤكداً أن «الغربيين تجاوزوا الخط الأحمر وتصرفوا تصرفاً غير مسؤول». في الوقت نفسه، رفض بوتين ما تردد من مخاوف من أن روسيا ستحاول السيطرة على مناطق أخرى من أوكرانيا، قائلاً: «لا تصدقوا من يحاول إخافتكم من روسيا، ويصرخون بأن مناطق أخرى ستعقب بعد القرم. نحن لا نريد تقسيم أوكرانيا. لا نحتاج إلى ذلك»، ما أدى إلى ارتفاع الأسهم الروسية وسمح للروبل بتعويض الخسائر التي لحقت به في المعاملات الصباحية. وهاجم الرئيس الروسي الغرب، مؤكداً أن محاولاته إخافة روسيا بفرض عقوبات بسبب سيطرتها على منطقة القرم، سيعتبر تصرفاً عدوانياً وإن موسكو سترد، ومشيراً إلى أن «حكم السلاح» هو الذي يوجه السياسة الخارجية للولايات المتحدة، لا القانون الدولي. وأضاف: «يفضل شركاؤنا الغربيون، وعلى رأسهم الولايات المتحدة، أن لا يملي القانون الدولي سياساتهم العملية، بل يملئها حكم السلاح». واتهمهم بأنهم «يعتقدون أنهم يتمتعون بمكانة استثنائية ويشعرون بأنهم المختارون وبإمكانهم تقرير مصائر العالم وأنهم فقط من هم على حق».

ثم عاد بوتين ليؤكد أن استفتاء القرم أجري بنحو يتماشى تماماً مع الإجراءات

سنت قانوناً مخزياً يغيّر سياسة اللغة ويمثل انتهاكاً مباشراً لحقوق الأقليات الوطنية».

ويذكر أن الحضور قاطع الرئيس الروسي بالتصفيق 30 مرة على الأقل.

في السياق نفسه، نقلت وكالة الإعلام الروسية عن مسؤول كبير بحكومة منطقة القرم قوله، إن الإقليم سيستخدم الروبل الروسي كعملة رسمية ويوقف التعامل بالهريفنيا الأوكرانية من نيسان المقبل. وكانت سلطات القرم قد قالت في وقت سابق إن الهريفنيا ستظل عملة رسمية حتى عام 2016. ونقلت وكالة الأنباء التي تديرها الدولة عن نائب رئيس وزراء القرم رستم تيمور جاليف قوله: «للاسف، أجد لزاماً علي أن أقول إن تداول الروبل بالتوازي مع الهريفنيا لن ينجح. سنتحول إلى الروبل».

إلى ذلك، قال متحدث عسكري أمس، إن مسلحين هاجموا قاعدة عسكرية أوكرانية في شبه جزيرة القرم، وأطلقوا طلقات في الهواء واصطحبوا قائد القاعدة بعيداً. وقع الحادث في ساعة متأخرة من مساء أول من أمس، في مطار بيليك خارج ميناء سيفاستوبول، بعد يوم من تصويت الناخبين في القرم بجنوب أوكرانيا في استفتاء للانضمام إلى روسيا.

(الأخبار، أ ف ب، الأناضول، رويترز)